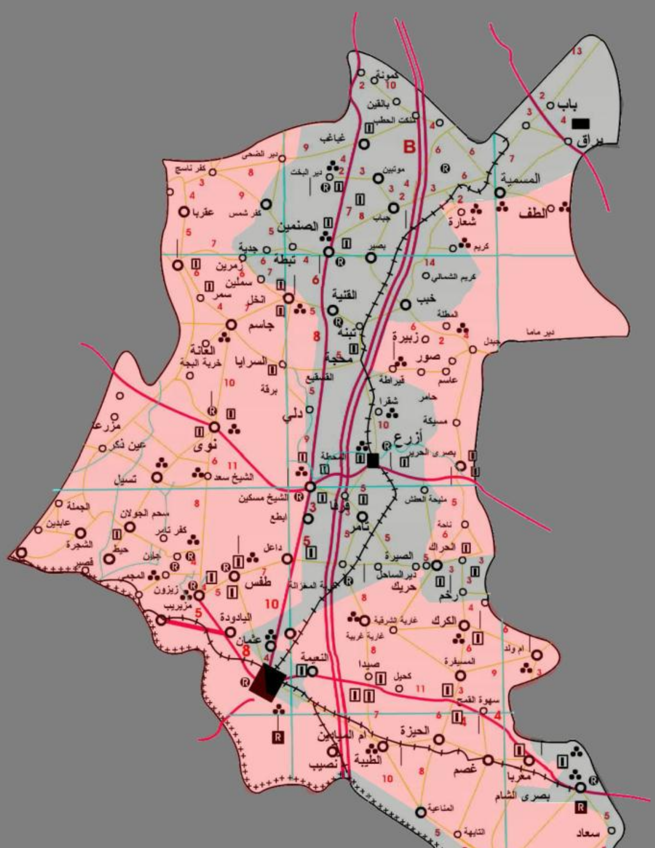
تقرير

الوضع العسكريُّ في محافظة درعا

غازي دحمان



مركز دراسات الجمهورية الديمقراطية

31-10-2014

غازي دحمان

مواليد درعا 1965

درس الفلسفة في جامعة دمشق، وحاصل على بكالوريوس علوم سياسية في جامعة الفاتح بليبيا.

يكتب في الصحافة منذ عام 1997

نشر في صحف النهار والسفير والمستقبل والحياة والعربي الجديد وموقع الجزيرة الإلكتروني

ينشر دراسات في مجلة شؤون عربية.

له كتابان

- **القدس في القرارات الدولية، صادر عن دار كيوان في دمشق 2004**
- **العلاقات العربية الافريقية صادر عن دار المنارة في دمشق 2005**

الوضع العسكريُّ في محافظة درعا

غازي دحمان

عناوين التقرير

نظرة عامة..4

الوضع الإستراتيجيّ في حوران...4

توزّع القوى في درعا...5

الوضع الميدانيّ في محافظة درعا......................................7

الوضع التسليحيّ للمعارضة في المحافظة................................8

الصراعات البينية...9

التداخلات الإقليمية...10

التمويل 11

جبهة الجنوب والسيناريوهات المستقبلية المتوقعة 12

نظرة عامة

تقع درعا أقصى جنوب البلاد، يحدّها من الجنوب الأردن ومن الغرب محافظة القنيطرة ومن الشرق محافظة السويداء ومن الشمال محافظة دمشق.

مساحة المحافظة 4000 كم2، وهي سهلٌ يعرف بسهل حوران، ويبلغ عدد سكان محافظة درعا ما يقارب مليون وأربعمئة ألف نسمة. يعتمد غالبية سكان المحافظة على الزراعة، تشكل العشيرة دوراً مهمّاً في البنية الاجتماعية للمحافظة، وأكبر عشائر حوران هي: الزعبي والحريري والرفاعي والمقداد والمسالمة والأبازيد وأبو نبوت.

تضمُّ درعا عدة مدن مثل طفس وإزرع وداعل والحراك وإبطع ونوى والشيخ مسكين وإنخل وجاسم والصنمين والطيبة. وهناك طريقان إلى درعا: الطريق القديم الذي يربط المدينة بدمشق العاصمة ويمرّ بمعظم القرى والبلدات الريفية، فضلاً عن الطريق الخارجيّ – الأوتوستراد – الدوليّ الحديث.

غالبية سكان درعا من العرب السنّة، مع تواجد ضئيل للشيعة في أحياء معينةٍ في بصرى الشام والشيخ مسكين وفي درعا المحطة، كما يوجد في درعا عددٌ لا بأس به من الطائفة المسيحيّة يغلب عليها المذهب الأرثوذكسي، يقطنون في الحي الشمالي للمدينة، وتوجد عدة قرى مسيحية في المنطقة الشرقية لدرعا مثل بصير وخبب ورخم وهي تتبع لمدينة الصنمين، وهناك تواجدٌ مسيحيٌّ في قرى مختلطةٍ مع السنة مثل إزرع ومعربة ومسمية، وقد اقتصر التواجد العلويّ في درعا ضمن ما يعرف بمساكن الضباط ، وهي عبارة عن أحياءٍ صغيرةٍ لسكن أسر ضباط النظام، وقد انتشرت في إزرع وطفس وصيدا والصنمين.

ضمن تركيبة السكان في درعا يمكن ملاحظة وجود عائلات من أصول أرمنية لكنّ عددها محدودٌ جداً، أما الأكراد ورغم محدودية عددهم أيضاً، إلا أنهم مندمجون تماماً في الوسط العربي في درعا البلد وفي نوى، وهناك تواجدٌ فلسطينيٌّ بارزٌ في درعا، ولاسيّما في منطقة المخيم وطريق السد وفي المزيريب وجلين في الريف الغربي، ويرتبط الفلسطينيون بعلاقات مصاهرة ونسب مع الوسط الحوراني ما جعل مشاركتهم في الثورة منذ البداية أمراً طبيعياً، مع ملاحظة أن جزءاً كبيراً من سكان الشريط الغربي تعود أصولهم إلى فلسطين لكنهم ارتحلوا إلى حوران قبل النكبة بعقود مثل عائلات الجاعوني والصفدي والكفوف في الشجرة، والبريدي في جملة، والمغاربة في عابدين، والترعاني في نافعة، والصمادي في صماد والنابلسي في اليادودة، وعائلة الفالوجي الشهيرة في درعا البلد. وترتبط عشائر درعا بروابط قرابةٍ ودم مع عشائر الشمال الأردني، حتى إن العشيرة نفسها مقسومةٌ بين البلدين، مثل الزعبي والرشيدات والنعيم والسعيفان وطوالبة والحسين.

الوضع الإستراتيجيّ في حوران

احتوى سهل حوران على عددٍ كبيرٍ من القطع العسكرية، باعتباره منطقةً تقع على حدود طرفين خارجيين، الأردن وإسرائيل، فقد وجد فيها مقرُّ قيادة الفرقة المدرعة التاسعة في الصنمين، والفرقة المدرعة السابعة، والفرقة الآلية الخامسة، واللواء 12 قرب إزرع، وكذلك الفوج 175، بالإضافة إلى اللواء 52 قرب الحراك، واللواء 61 قرب نوى، واللواء 15 قرب إنخل، واللواء 132قرب درعا، واللواء 38 في صيدا، واللواء 82 في الشيخ مسكين، والتجمع العسكريّ في مدينة البانوراما الرياضيّة

بمدينة درعا، وكتيبة الدفاع الجويّ في السهوة، وسرية الهجانة 14 في زيزون على الحدود مع الأردن، وتفيد بعض التقديرات بوجود نحو 90 ألفاً من قوات النظام، أي ما يعادل ثلث القوة العسكريّة للجيش السوريّ.

تتميّز أرض حوران بكونها سهليةً ومنبسطة، وهذا الأمر عقّد كثيراً مهمة الفصائل المسلحة وصعّبها، واحتاج تضحياتٍ كبيرةً من أجل تغيير المعادلة القتالية، ولاسيّما أن النظام كان يمسك برؤوس الجبال والتلال في المنطقة، تل الشعار وتل أيوبا والتلال الحمر وتل الحارّة وتل أحمر الغربي وتل السقري وتل الجابية.

اتّبع الثوار في هذه المنطقة إستراتيجية القضم التدريجيّ لهذه المواقع، بعد محاصرتها وقطع طرق الإمداد عنها لمدد زمنية طويلة، وقد شكّل اختلال ميزان القوى لصالح النظام ، ولاسيّما على صعيد القوى الجويّة التي يحتكرها النظام عائقاً، ولايزال أمام التقدم السريع لقوات المعارضة في مسرحٍ عسكريٍّ مكشوفٍ.

رغم ذلك استطاع الثوار تحرير الجزء الأكبر من سهل حوران، بما يعادل 60% من إجمالي مساحة السهل، وتدمير ما بين 40 إلى 60 % من البنية العسكريّة للنظام في المنطقة، فعلى سبيل المثال قضت فصائل المعارضة المسلحة على اللواء 61 بشكلٍ نهائيٍّ وهو أقوى التشكيلات الموجودة في المنطقة، كما أضعفوا بشكلٍ كبيرٍ من قدرات الفرقتين السابعة والتاسعة.

وبعد تحرير الشيخ مسكين ونوى، وهي آخر مراحل التحرير حتى اللحظة، تتوجه أنظار وجهود الفصائل المسلحة لتحرير بلدة خربة غزالة والصنمين وإزرع وعدة نقاط، والتوجه لفتح الطريق إلى ريف دمشق الغربيّ والوصول إلى داريا.

ورغم أن السيطرة على الأتستراد الدوليّ الذي يربط دمشق بعمان هو هدفٌ إستراتيجيٌّ دائمٌ ومهمٌّ لدى فصائل المعارضة وذلك لقطع طرق إمداده باتجاه معاقله الباقية في درعا، وقطع الطريق عليه في حال فكّر بشنِّ هجومٍ مضادٍّ لاستعادة ما خسره، إلا أن عوامل إقليمية تقف عائقاً في وجه هذا الهدف وتتمثل برغبة الأردن بإبقاء هذا الطريق مفتوحاً لتأمين التجارة البرية بين لبنان والخليج.

توزّع القوى في درعا

على صعيد توزّع مقاتلي المعارضة في درعا، يوجد أعدادٌ كبيرةٌ من الفصائل المقاتلة أكثرها من الجيش الحر ويوجد العديد من الفصائل ذات الطابع الإسلامي، وتفيد تقديراتٌ محليّةٌ بأن عدد المقاتلين في درعا يبلغ بين 25 و30 ألف مقاتلٍ.

تعتبر فصائل الجيش الحر أكثر عدداً في درعا وأهمها حسب مشاركتهم بالمعارك مؤخراً:

– فرقة اليرموك والتي كانت في البداية باسم لواء اليرموك لتنتقل مؤخراً إلى فرقة، وهي تُعدُّ الأقوى بين مجموعات المعارضة المسلحة في الجنوب ويقودها بشار الزعبي، تدرّب مقاتلوها داخل وخارج سورية.

– ألوية الشهيد المقدم ياسر العبود والتي كانت تعرف بالبداية باسم لواء فلوجة حوران وانتقلت مؤخراً لتشكيل ألوية الشهيد المقدم ياسر العبود

– فرقة 18 آذار ، وأهمُّ مكوّنٍ فيها لواء توحيد الجنوب، والفرقة تجمّعٌ يضمُّ أبرز الألوية المقاتلة في درعا المدينة وأحياء درعا البلد فيها.

– تشكّلَ مؤخراً تجمّعٌ جديدٌ باسم فرقة الحمزة، وأهم مكوّنٍ فيه هم كتائب مجاهدي حوران ولواء حمزة أسد الله، عملت

الفرقة بإشراف المجلس العسكريّ في درعا، يقودها صابر سفر، ويصل عدد عناصرها إلى 2000 ، ولديها مخافر على الحدود الأردنية ـ السورية

– الفرقة 2 وتنتشر بين درعا والقنيطرة ودمشق: وتضم أبابيل حوران السابقة والقوية، إلى جانب كتائب محلية من جنوب سورية، وتنشط الفرقة في درعا وفي جنوب دمشق وتعمل كجزء من الجبهة الجنوبية الموحدة التي أسسها المجلس العسكريّ في الجنوب ويستخدمون شعار الحكومة المؤقتة نفسه لإظهار رغبتهم في إقامة دولة مدنية[1]

وهناك عددٌ آخر على صعيد ألوية الجيش الحر نذكر أهمها حسب المشاركة بالمعارك مؤخراً:

1– لواء الكرامة

2– لواء المعتز بالله

3– لواء المهاجرين والأنصار

4– لواء العمري التابع لجبهة ثوار سوريا

5– لواء شهداء اليرموك بريف درعا الغربي

6– تجمع كتائب أحرار نوى

7– لواء عمود حوران

8– لواء توحيد كتائب حوران

9– لواء فجر الإسلام

10– لواء أسامة بن زيد

11ل–واء شهداء الحرية

12– لواء درع أسود السنة

13– لواء الشهيد أحمد العمر

14– لواء مغاوير سهل حوران

15– فوج المدفعية الأول

16– لواء شهيد حوران

17– لواء تحرير حوران

18– لواء شهداء المسيفرة

19– لواء جسر حوران

20– لواء غرباء حوران

21– لواء عمر المختار

22– لواء محمد بن عبدالله

23– لواء جيدور حوران

[1] فيليكس لغراند، التوزيع العسكري والأيديولوجي للكتائب المقاتلة في سورية: مبادرة الإصلاح العربي أكتوبر 2014

وعدة ألوية وكتائب أخرى[2]

أما على صعيد الكتائب الإسلامية يتواجد في درعا عدة فصائل شاركت ومازالت تشارك في المعارك بقوة فيها، وأهمها:

1- جبهة النصرة، وتعدُّ أكبر الفصائل الإسلامية في درعا، وتتواجد في غالبية المناطق والجبهات، وقد شاركت في أغلب المعارك، علماً أن تواجدها في درعا جاء في مرحلةٍ متأخرةٍ نسبياً عن تشكّل فصائل الجيش الحر. أمير الجبهة في درعا إياد الطوباسي الملقب بأبي جُليبيب، وهو أردنيٌّ من أصلٍ فلسطينيّ وصهر أبي مصعب الزرقاوي، والشرعي العام للجبهة في درعا سامي العريدي الملقّب بأبي معاذ.

2- الجبهة الإسلامية (حركة أحرار الشام الإسلامية).

3- حركة المثنى الإسلامية.

4- كتائب بيت المقدس الإسلامية أميرها أبو عبدالله الأنصاري.

5- ألوية العمري وهي جزءٌ من جبهة ثوار سورية. وقد اغتيل قائدها قيس القطاعنة.

مع ملاحظة عدم تواجد تنظيم "دولة الإسلام في العراق والشام" المسمّى "داعش" في الجنوب، أو على الأقل ليس موجوداً كتشكيلٍ واضحٍ يمتلك هيكليةً وحيثيةً عسكريّة.

الوضع الميدانيّ في محافظة درعا

تنقسم مدينة درعا إلى قسمين درعا البلد ودرعا المحطة، بعد تحرير جمرك درعا القديم في درعا البلد والذي كان من أهمّ معاقل قوات النظام فيها، بقي معبرٌ آخر مع قوات النظام وهو معبر نصيب الحدودي والواقع في نهاية طريق الأتستراد الدولي (دمشق – درعا) قرب بلدة نصيب.

بتحرير جمرك درعا القديم تحرر أهم معقل لقوات النظام في منطقة أحياء درعا البلد، حيث مازال يتواجد للنظام كتيبة الهجانة القريبة من الجمرك المحرر، والتي أُطبقَ الحصار عليها من قِبل فصائل المعارضة المسلحة، وتشهد اشتباكاتٍ عنيفةً الآن.

ويوجد تجمعاتٌ لقوات النظام في أحياء المنشية وسجنة وتشهد اشتباكاتٍ مستمرةً، أما بقية أحياء درعا البلد محررة بالكامل، وفي أحياء درعا المحطة التي هي القسم الثاني من مدينة درعا، مازالت قوات النظام تسطير على أجزاءٍ كبيرةٍ فيها ويوجد فيها فقط أحياء طريق السد ومخيم درعا محررة، وبقية الأحياء محتلة من قوات النظام، وتتواجد فيها الأفرع الأمنية كاملة وحواجز؛ أهمّها حاجز حديقة حميدة الطاهر. ويتواجد في حي القصور تجمعٌ كبيرٌ لقوات النظام في ملعب البانوراما في ريف درعا الغربي، ومازالت قوات النظام تمتلك حاجزاً بين اليادودة ودرعا، وتحتل بلدات عدوان والشيخ سعود البكار وبلدة البكار، باستثناء ذلك لا يوجد للنظام أيُّ تواجدٍ في ريف درعا الغربيّ بعد تحرير مدينة نوى بالكامل، ولاسيّما المربع الأمني فيها، وقبل ذلك تمّ تحرير مدن إنخل وجاسم والحارة ودير العدس وكفر ناسج التي تحيط بالصنمين من الغرب

---

(2) مجموعة "تحرير سوري" على شبكة التواصل الاجتماعي "الفيس بوك": 26- 3- 2014

وتصل إلى حدود غباغب، وبذلك يكون الشريط الحدودي مع الجولان قد تحرر بشكل كامل بداية من عابدين في أقصى الجنوب الغربيّ وحتى قرية المال على أطراف الغوطة الغربية والقريبة من خان الشيح، وهذه المنطقة ذات طبيعة إستراتيجية حيث تتصل مع الأردن من عدة نقاط : تل شهاب ، حيط ، والقصير، كما تتلامس مع الجولان المحتل على طول الشريط الممتد من عابدين على وادي الرقاد إلى صيدا الجولان شمالاً.

في حوران الشرقية مازالت الأمور متداخلةً بشكلٍ كبيرٍ، إذ رغم تحرير الكثير من المدن والقرى في المنطقة الشرقية، الحراك والكرك وعلما والصورة وبصر الحرير، مازال النظام يمتلك بعض النقاط والحواجز، ولاسيّما في المليحة الغربية ونامر ويتمركز القسم الكبير من قواته في إزرع التي تشرف على المنطقة الشرقية. ويوجد في إزرع ثلاثة ألوية: هي 112 و 69 والفوج 175 ويتمّ استهداف المنطقة من مطار خلخلة على حدود السويداء، حيث يشرف جبل العرب على كامل المنطقة الشرقية، ومازالت مدينة بصرى الشام مقسّمة بين فصائل المعارضة المسلحة وقوات النظام، وتتواجد فيها ميليشياتٌ شيعيّةٌ نظراً لأنّ جزءاً من سكانها شيعة، ولكن تبقى النقطة الأهم هي الصنمين، لأنها تعتبر أكبر تجمّعٍ عسكريٍّ للنظام بعد تحرير الشيخ مسكين، ولعل الإشكالية التي تواجه فصائل المعارضة المسلحة في هذه المنطقة عدم قدرتهم على قطع طرق الإمداد لقوات النظام، سواء من جهة السويداء أو من جهة دمشق، حيث مازال يسيطر على طريق الأتستراد الدولي بين دمشق والأردن، وتعتبر بلدة خربة غزالة نقطة محورية في هذا الصراع لأنها تشكل عقدة مواصلات وتلتقي فيها الطرق القادمة من إزرع ودمشق، ويشكل تحرير خربة غزالة أحد الرهانات الكبرى لدى قوات المعارضة لأنها ستساهم في قطع طرق الإمداد باتجاه عتمان التي تشكل بوابة درعا الشمالية والنعيمة التي تشكل بوابة درعا الشرقية.

الوضع التسليحيّ للمعارضة في المحافظة.

عانت فصائل المعارضة، في بداية الثورة، وحتى وقتٍ طويلٍ، من إشكالية عدم توفّر السلاح والذخيرة اللازمة. وقد كان تسليحها في البداية مقتصراً على أسلحةٍ خفيفة تواجدت لدى الأهالي أو تمّ جمع المال من أجل شرائها من السوق السوداء، غير أن الوضع أخذ في التحسن بعد أن بدأت فصائل المعارضة بالاستيلاء على الأسلحة من مواقع النظام، وكانت عمليات هذه الفصائل في البداية تستهدف المفارز والمخافر الحدودية الصغيرة والمعزولة، ولاسيّما التي تقع على نهر اليرموك، غير أن غنائم السلاح الكبيرة كانت بعدما حررت فصائل المعارضة القطع العسكرية الكبيرة التابعة للواء 61 في منطقة الشريط الحدودي، في معسكر الجزيرة في معربة ومعسكرات عابدين" المغر والسد" ومعسكر جملة، ومعسكر العلان ومفرزة الجوية في سحم الجولان، وقد تحررت هذه المعسكرات في شهر 2 سنة 2013، وقد حصلت فصائل المعارضة من هذه المعسكرات على مدافع الهاون والهاوتزر ورشاشات الشيلكا وبعض الآليات، غير أن أهمّ مكسبٍ لفصائل المعارضة كان احتلالهم للواء 38 في صيدا في 27 –3– 2013، وكان عبارة عن مجمعٍ كبيرٍ للأسلحة عمد النظام إلى تخزينها وكان يقوم بتوزيعها على معسكراته كافةً في درعا، ومن بين أهم الأسلحة التي حصلت عليها فصائل المعارضة من مخازن اللواء 38 عشرات الصناديق الحاوية لصواريخ" كوبرا" التي يستخدمها سلاح الجو.

وقد حصلت فصائل المعارضة المسلحة على كمياتٍ كبيرةٍ من الأسلحة بعد تحرير نوى وتلول الحارة والجابية وإنخل وجاسم، وبحسب مصادر من الفصائل المقاتلة أن كميات السلاح لدى الفصائل باتت كافية، على الرغم من وجود شكوى من وجود فائض من أنواع معينة، مثل المدفعية بكلّ أنواعها وذخائرها وكذلك بعض أنواع

الصواريخ، ولكنّ ثمة نقصاً واضحاً على مستوى الآليات، ولاسيّما الدبابات، وتؤكد هذه المصادر أن الفصائل المسلحة كانت في الغالب تدمر الدبابات في مواقعها وأثناء القتال المباشر، أو أن عناصر النظام استخدموا تلك الدبابات للفرار بها صوب المناطق التي لا تزال تحت سيطرة النظام.

بالإضافة لذلك، ظهرت في جبهة الجنوب بعض صواريخ تاو، وهو ما يفسر التدمير الكبير للآليات ومدرعات النظام في تلك المنطقة، وتؤكد المصادر أن انتشار هذه الصواريخ كان محدوداً ولاسيّما لدى الفصائل التي تتبع جبهة ثوار سورية في الجنوب التي تمثلها كتائب العمري التي كان يقودها قيس القطاعنة، أو لدى فرقة اليرموك بقيادة بشار الزعبي الذي تربطه علاقاتٌ جيدةٌ مع الأردن. بالإجمال تصف المصادر وضع الجبهة الجنوبية بالممتاز والمنظم، وأنها مسلحةٌ تسليحاً جيداً ولا تعاني من نقصٍ في الذخائر ولا الدواء والطعام(3).

الصراعات البينية

تتميز جبهة درعا بندرة الصراعات بين الكتائب الكثيرة المتواجدة على أرضها، وهي ميزةٌ افتقرت لها أغلب الجبهات السورية ولاسيّما في الشمال والشرق، ورغم كثرة مناطق الاحتكاك والتماس بين تلك الكتائب وتداخل مناطق النفوذ فيما بينها، إلا أنها تميّزت بدرجة عاليةٍ من الانضباط في العلاقة والتنسيق في العمل.

وقد ساعدت عدة عناصر على تظهير هذه الحالة:

- عدم وجود عناصر غريبة عن المحافظة، حيث يشكّل أبناء المنطقة العنصر الغالب في بنيتها المقاتلة، مع وجود بعض العناصر الأردنية التي تنتمي إلى العشائر نفسها في المنطقة، وبعض العناصر الفلسطينيّة التي هي من أبناء مخيمات درعا والمزيريب، وهم مندمجون تماماً في البيئة الحورانية بفضل عوامل النسب والتصاهر.
- ساهمت الطبيعة العشائرية في درعا في تحقيق حالة السلم والهدوء بين الكتائب، حيث تؤدي الوجاهات العشائرية والارتباطات الاجتماعية دوراً مهماً في امتصاص الخلافات التي قد تحصل بين الكتائب.
- عدم الاختلاف على مصادر التمويل ، ذلك أن الكتائب المقاتلة لا تضع في إطار حساباتها الاعتماد على موارد الناس من زراعة وتربية ماشية ضمن مصادر تمويلها.
- توحيد غرف العمليات العسكرية في المنطقة والانخراط ضمن أقل عددٍ ممكن من الغرف ما يساعد على توفير درجةٍ معقولةٍ من التنسيق في عمل الكتائب والابتعاد عن العشوائية والتخبط والفوضى في العمل والتحرك.

لا يعني ذلك انتفاء بعض حالات الاحتكاك التي قد تحصل في المنطقة لأسباب عديدة، ومن ضمنها الاختلاف في الانتماء والتوجهات ولاسيّما بين الكتائب ذات الطابع الإسلامي ونظيراتها ذات التوجه المدني، وقد تجاوزت المنطقة في السابق مأزقين خطيرين كادا أن يؤديا إلى صراعات خطيرة لو لم يجرِ احتواؤهما: الأول عندما اعتقلت جبهة النصرة العقيد أحمد فهد النعمة رئيس المجلس العسكري التابع لمحافظة درعا بعد سقوط بلدة خربة غزالة بيد قوات النظام والميليشيا التابعة لها، وذلك بعد اتهامه من قبل جبهة النصرة بالمسؤولية عن هذا العمل، وقد أعقب هذه الحادثة اغتيال أمير جبهة النصرة شرق درعا "علي النعيمي" حيث اتهمت الجبهة كتائب الجيش الحر بالوقوف وراء العمل. وفي المرة الثانية عندما قتل الإعلاميُ قيصر حبيب قيس القطاعنة قائد كتيبة العمري، وقد وصف بعضهم الحادثة بأنها تأتي ضمن مسلسل "حروب التصفية" بين "النصرة" و"جبهة ثوار سوريا" ، فالأولى تنتابها خشية من تمدد جماعات مسلحة على حسابها في درعا وفق

(3) موسى خريسات، Jbc ، موقع إخباري، "درعا هزمت ثلاث فرق عسكرية"، 13 مارس 2013

مخطط أردني – سعودي – أميركي، يقضي بتقديم الدعم إلى الفصائل المعارضة للنصرة التي يثير انتشارها على الحدود الأردنية – السورية قلق عمان المتوجسة من انتقال شرارة النيران السورية إليها.

وفي المرتين جرى اللجوء إلى الآليات المتبعة في فضِّ النزاعات بين الأطراف في المنطقة، كالتحكيم الشرعيّ والمجالس العشائرية.

من جهة ثانية نشبت بين الفصائل الموجودة في درعا وبين تنظيم الدولة الإسلامية " داعش" صراعات محدودة، عندما حاول التنظيم التغلغل في جنوب سورية. وقد حاول " داعش" أكثر من مرة دخول درعا غير أن كتائب الجيش الحر والكتائب الإسلامية تصدّت له وكبّدته خسائر كبيرة في الأرواح.

التداخلات الإقليمية

تحتل المنطقة الجنوبية أهميةً استراتيجيةً بالنسبة لطرفي المعادلة في سوريا، فصائل المعارضة والنظام، وذلك بالنظر لمتاخمتها للحدود مع كلٍّ من الأردن وإسرائيل، وبالنسبة لهذين الطرفين تشكّل التطورات الحاصلة في هذه المنطقة مبعث اهتمامٍ وترقبٍ يضطرّهما إلى الانخراط، بشكل معين، ضمن دائرة الصراع الحاصلة في هذه المنطقة.

بالنسبة للأردن، فإن عنصر الجوار الجغرافي والحدود المتداخلة في أكثر من مكان، تجعل المملكة مجبرةً على الانخراط في الصراع " لحماية أمنها الوطني" حسب تبريراتٍ إعلاميّةٍ قريبةٍ من دائرة القرار السياسيّ في المملكة، وقد أخذ هذا التدخل أنماطاً مختلفة تقع بين الاشتباك العسكريّ المباشر والتنسيق مع بعض الأطراف الموجودة في الميدان، فضلاً عن التعاون مع بعض الكتائب المقاتلة" الجيش الحرّ" في مجالات التدريب ومداواة الجرحى في المشافي الأردنية.

أكثر من مرة قامت القوات الأردنية" سلاح الجو" باستهداف آلياتٍ عسكريّةٍ لمجرد اقترابها بشكلٍ يثير الشكوك منها، وتخشى الأردن من ازدياد نفوذ الجماعات الإسلامية على حدودها ما قد يؤثر على أمنها الوطنيّ، مقابل ذلك استقبلت الأردن أعداداً كبيرةً من المنشقين عن الجيش النظاميّ، وقدمت لهم مأوى وتدريباً خاصّاً في معسكر الراجحي وسط الأردن، وأكدت مصادرُ في الجيش الحر أنه جرى تخريج ثلاثة آلاف مقاتلٍ في دوراتٍ نُظّمت خلال الفترة السابقة. وذكروا أنه يتم إحضارُ المقاتلين من مدينة درعا ومن جنوب دمشق إلى مواقعَ تدريبٍ سرّيةٍ يشرف عليها ضباطٌ أردنيون وآخرون عرب وأجانب لكنهم يعملون تحت إدارةٍ أميركية.

وأوضحت المصادر أن مدة التدريب للمجموعة الواحدة تستغرق من 8 أيام إلى 12 يوماً، قبل عودتها إلى الأراضي السورية. وأضافت أن كل متدربٍ يحصل خلال الدورة على بندقيةٍ آلية يحتفظ بها عقب انتهاء التدريبات، فيما يتمّ انتقاء أعدادٍ أخرى من المقاتلين الحاصلين على درجات تعليمية مرتفعة، للخضوع إلى تدريباتٍ إضافية. كما تحصل بعض الكتائب بعد إنهاء التدريبات على سيارات دفع رباعي وأسلحة رشاشة ثقيلة من نوع «دوشكا»[4].

([4]) عامر الصمادي، جريدة الحياة اللندنية 19 شباط " فبراير" 2014.

بالنسبة لإسرائيل، فالأمر يبدو مختلفاً، وعلى عكس ما تحاول بعض وسائل الإعلام من ترويجه عن وجود تنسيق بين فصائل المعارضة المسلحة وإسرائيل، إذ لا تعدو الحالة كونها نوعاً من التفاهم الضمني على عدم استهداف أي من الطرفين لبعضهما، في إطار حالة يشوبها القلق والترقب، ولاسيّما من طرف إسرائيل، ورغم معالجة بعض عناصر الفصائل المسلحة في المستشفيات الإسرائيلية القريبة من الحدود، فإن التدقيق في هذه الظاهرة يثبت بدرجةٍ كبيرةٍ أنها لم تأخذ طابعاً منظّماً ومتفقاً عليه بقدر ما هي حالاتٌ فرديةٌ وخاصّة بأفرادٍ جرحوا في المعارك ودخلوا الأراضي المحتلة أو وجدتهم الدوريات الإسرائيلية في المنطقة، ولم تأخذ طابع الدعم اللوجستي الموجود على الطرف الأردني المقابل، ولا شك أن فصائل المعارضة استفادت من قواعد الاشتباك الموجودة بين سورية وإسرائيل والتي تمنع على قوات نظام الأسد استخدام الطائرات أو الأسلحة الثقيلة في المنطقة، ولكن في حالات معينة تغاضت إسرائيل عن دخول الدبابات السورية لملاحقة فصائل المعارضة إلى مناطق كان في السابق يمنع عليها دخولها. كما نشرت إسرائيل تحسباً للطوارئ بطاريات صواريخ على حدودها الشمالية. وترى إسرائيل أن التغيّر الحاصل في جنوب سورية قد أدخل عنصرين جديدين قد يغيران قواعد اللعبة : أولاً، وسّعت «جبهة النصرة» إطار عملياتها بشكلٍ كبيرٍ من مدينة درعا السورية الجنوبية حتى المناطق المحاذية لهضبة الجولان الحدودية، أمّا العنصر الثاني الذي قد يغيّر قواعد اللعبة فهو التواجد المتداعي لـ "قوة حفظ السلام لمراقبة فضّ الاشتباك" في الجولان[5].

التمويل

ليس لدى فصائل المعارضة في الجنوب سوى مصدرٍ واحدٍ للتمويل وهو التمويل الخارجيّ الذي يأتي من الدول الداعمة للثورة السورية، وذلك عبر قنواتٍ واضحة ومحددة تبلورت مؤخراً، بعد فترة طويلة من التخبط وعدم الانتظام، فقد ظهرت في الآونة الأخيرة غرفة العمليات الدولية المشتركة الشهيرة باسم «الموك»، والتي تترأسها الولايات المتحدة الأمريكية مع مجموعة من دول أصدقاء الشعب السوري كبريطانيا وفرنسا ودول عربية أهمها السعودية والإمارات، والتي تتواصل فيها بشكلٍ مباشر مع فصائل الجيش الحر، من خلال غرفتي «الموك»، والموجودة في كلّ من تركيا، لدعم الجبهات الشمالية، والأردن، لدعم الجبهات الجنوبية، بالإضافة لتنسيقهم مع الائتلاف الوطني».

وتقدم غرفة العمليات المشتركة «الموك» الدعم لكتائب الجيش الحر ذات الطابع المعتدل، ويشمل الدعم غالبية متطلبات أي تشكيل عسكري من الدعم بالسلاح، كتزويد كتائب الجيش الحر بصواريخ التاو الأمريكية المضادة للدروع، بالإضافة إلى تذخير المعارك التي تطلقها كتائب الحر من ذخيرة الرشاشات الثقيلة وصولاً لقذائف الهاون والدبابات، ولا يقتصر الدعم عند هذا الحد، بل تلتزم غرفة العمليات بتزويد كتائب المعارضة بالرواتب الشهرية للمقاتلين وكذلك تقدم سلال غذائية بشكل دوري[6].

([5]) هشيم المناطق السورية المحاذية لإسرائيل: أندرو تابلر، ترجمه عن مجلة " فورين بوليسي" معهد واشنطن للدراسات: 11 أيلول سبتمبر 2014.

([6]) مهند الحوراني، "غرفة العمليات الدولية المشتركة التي تقدم الدعم للمعارضة المسلحة المعتدلة"، القدس العربي، CTOBER 26, 2014

وبحسب مصادر دولية فإن أغلب الدعم المالي لهذه الغرفة يأتي من المملكة العربية السعودية للمساعدة في بناء قوة ثوار قوية في جنوب سوريا، يمكنها أن تقاتل لتحقق السيطرة على دمشق، وتوفر وزناً مضاداً "ودياً تجاه الغرب" مقابل جماعات الثوار الإسلامية المتشددة والمتكاثرة[7].

وبحسب مصادر في كتائب المعارضة فإن أغلبية الفصائل العسكرية المعارضة المعتدلة، تلتزم بخطوط عريضة تقترب من أهداف الثورة السورية وتلامسها، وهي مكافحة الإرهاب وتمدده، وإنشاء دولة مدنية في سوريا، ونبذ الطائفية بأشكالها كافةً وحماية الأقليات الدينية والعرقية في سوريا، والإقرار بحقّ السوريين كافةً بتحديد مصيرهم. أما بالنسبة لأميركا وحلفائها فإن أفضل سيناريو لها في المشهد الحالي هو دعم معارضةٍ أكثر علمانيةً الآن وتوجيهها للضغط على النظام من الجنوب. هذا يحمي إسرائيل من المتشددين الإسلاميين ويعطيها جاراً أكثر معقوليةً ويفتح ممراً لدحر النظام عن دمشق[8].

أما فيما يخصُّ الكتائب الإسلامية، فإنه من الصعب معرفة مصادر تمويلها بدقة، وفي الغالب تحصل عليه بطرق غير تقليدية، ويعتقد على نطاقٍ واسعٍ أن هذا التمويل يأتي عن طريق جمعياتٍ وهيئاتٍ في دول الخليج، وتؤكد مصادر المعارضة في منطقة الجنوب أن جبهة النصرة تتلقى تمويلاً جيداً ولا تعاني من مشكلة نقص الأموال وأنها تدفع المرتبات بشكلٍ منتظم لعناصرها بحدودٍ دنيا تبلغ مئة دولار، وهو ما ساعدها في مرحلة سابقة على استقطاب أعدادٍ كبيرةٍ من الشباب، وهذا الوضع لا يندرج على بقية الفصائل الإسلامية الأخرى، ولاسيّما كتائب الحمزة وفجر الإسلام التي تعاني من شحٍّ في التمويل الخارجي ولا تتلقى دعماً مالياً من المجالس العسكرية التابعة للائتلاف الوطني.

جبهة الجنوب والسيناريوهات المستقبلية المتوقعة

تقف جبهة الجنوب اليوم أمام جملة من الفرص والأخطار ، ويشكل عنصر إدارة المعركة عاملاً أساسياً في تحديد ما إذا كانت الفرص ستطغى على الأخطار أم العكس، ويمكن توصيف ذلك على شكل السيناريوهات التالية:

السيناريو الأول: أن تتابع الفصائل المقاتلة أداءها الجيد وتستفيد من الفرص المتاحة في اللحظة الراهنة والمستقبل القريب، ومنها مأزق النظام وانشغاله على جبهاتٍ عديدةٍ وعدم قدرته تالياً على توفير قوة احتياط على الجبهة الجنوبية، وكذلك الاستفادة من الاهتمام الدولي بالجبهة الجنوبية واعتبارها الجبهة الأفضل والقادرة على إعادة صياغة الحالة السورية عبر إجبار نظام الأسد على العودة إلى المفاوضات، وإمكانية استثمار الفصائل المسلحة لهذا الوضع بالإضافة إلى استمرار تماسكهم وحماس البيئة الحاضنة لهم. ووفق هذا السيناريو تتابع الفصائل المسلحة في درعا وبمساعدة الفصائل المسلحة

(7) ديلي تلغراف." ترجمة موقع 24 الاماراتي 6- 4- 2013.

(8) أوردت صحيفة ديلي تلغراف عن ثوار قولهم إن بشار الزعبي (قائد لواء اليرموك في مدينة درعا)، لديه خط اتصال مباشر مع وكالات مخابرات غربية وعربية من غرفة العمليات العسكرية في عمان. وحسب الديلي تلغراف فإن الولايات المتحدة صرفت 3 ملايين دولار على رواتب المقاتلين في الجبهة الجنوبية، وتم تقديم المدفوعات النقدية خلال اجتماعين في الأردن واحد يوم 30 يناير والآخر في أواخر العام الماضي

في القنيطرة التقدم باتجاه آخر المواقع التي تحصن دمشق من الجنوب في الكسوة وكناكر" الفرقة الأولى" والتواصل مع كتائب المعارضة المسلحة في الغوطة الغربية.

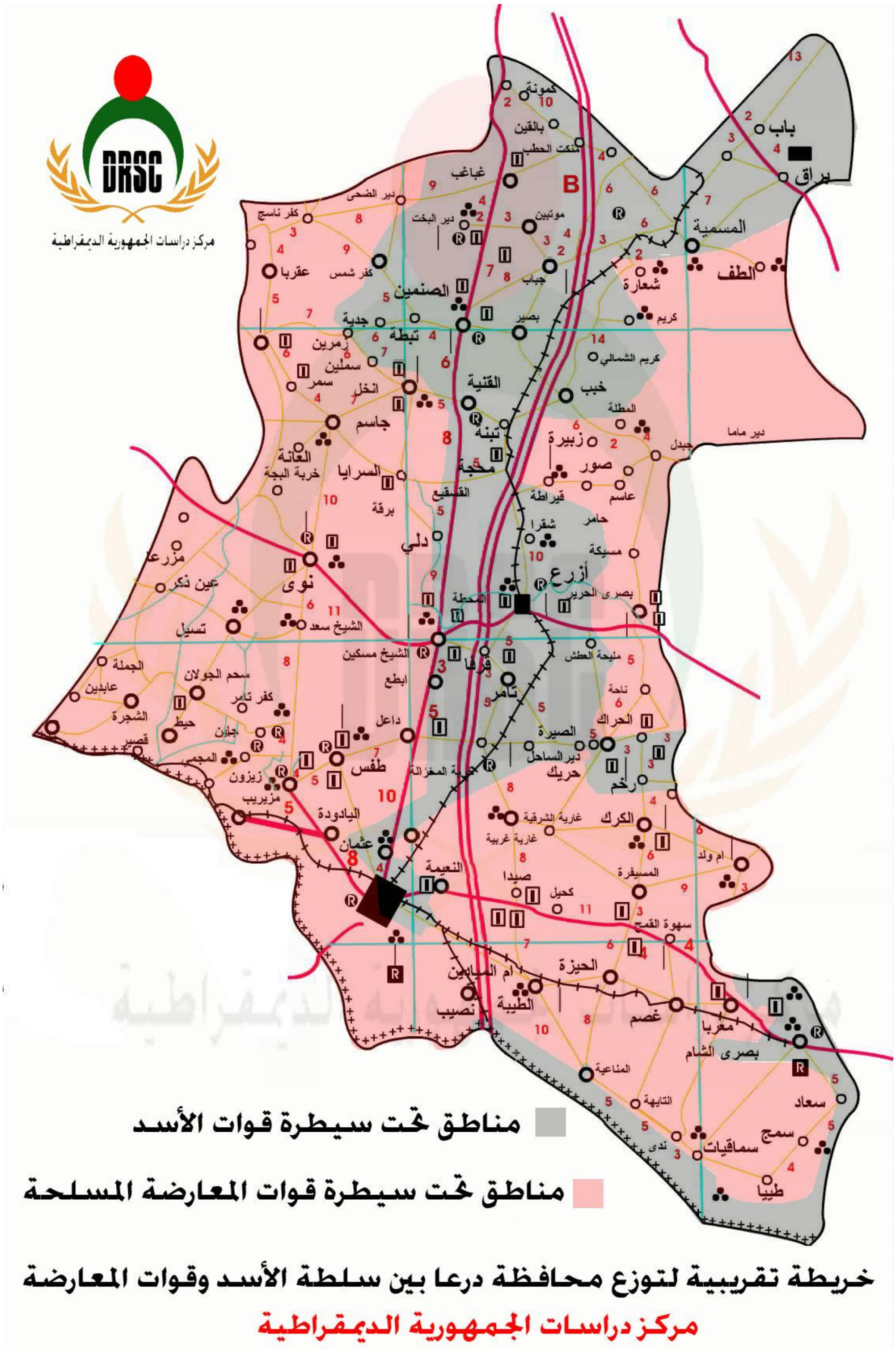
السيناريو الثاني: احتمالية لجوء النظام إلى إحداث فتنة درزيةٍ – سنية، تخفف عنه الأخطار، وتضمن انشغال كتائب المعارضة المسلحة في حربٍ أهلية طائفيةٍ في الجنوب، وذلك على امتداد المنطقة الممتدة من جبل الشيخ إلى جبل العرب، حيث تتلاصق وتتداخل المناطق الدرزية السنية، وقد حاول النظام أكثر من مرة إشعال الفتنة بين أهالي تلك المناطق عبر أجهزة مخابراته، ودعاياته التي يبثها عبر تلك الأجهزة، ولاسيّما الأمن العسكري في السويداء صاحب الصيت السيئ في ما يخص ملفات الاعتقال والتعذيب، الذي يتولى رئاسته الدكتور وفيق ناصر عرّاب الفتنة بين درعا والسويداء من جهة، وبين الدروز والبدو من جهةٍ أخرى، والذي استخدم أسلوب الخطف المتبادل عبر عملائه من البدو والدروز وعلى رأسهم الشيخ جامل البلعاس وعصابته، لزرع الفتنة بين الدروز والبدو وبين الدروز وأهالي درعا، وتوريط الدروز وجعلهم رأس حربة كما وُرطت الطائفة العلوية مما يثبت مدى رهان النظام على هذه الورقة، غير أن الأهالي استطاعوا تجاوز هذا الأمر عبر الوساطات العشائرية بين الطرفين، غير أن إصرار نظام الأسد على نقل مأزقه إلى فصائل المعارضة، ووجود بعض الجهات غير الواعية بين فصائل المعارضة ووجود عناصر موتورة في الجبل ومدعومة من قبل وئام وهاب وحزب الله، يضع المنطقة بشكل دائم في دائرة احتمال نشوب حربٍ طائفيّةٍ قد يستفيد منها النظام.

السيناريو الثالث: أن يتوصل النظام إلى عقد تسويات" هدنات" في الشمال، على غرار ما يطالب به مبعوث الأمم المتحدة إلى سورية دي مستورا، عند ذلك يمكن للنظام توجيه جهوده إلى درعا، بالاستعانة بالقوات غير النظامية، مثل كتائب حزب الله، وتغيير قواعد الاشتباك لصالحه ولاسيّما أنه يملك ميزة استخدام الطيران.

السيناريو الرابع: وهو السيناريو الأخطر، حصول صراع بين الفصائل التابعة للجيش الحر والفصائل الإسلامية وسيطرة الأخيرة على الوضع في درعا، وهذا سيناريو يشتهيه النظام ومؤيدوه وقد تتحمس له إسرائيل، حينها تخرج الجبهة من إطار تهديد نظام الأسد ومساندة الثورة إلى إطار الحرب على الإرهاب، التي يشنّها التحالف الدولي في شمال وشرق سورية ضد داعش والنصرة، ولا يخفي نظام الأسد رهانه على هذا السيناريو والتسريع بتظهيره من خلال تسليمه لبعض المواقع بكامل عتادها وذخيرتها لجبهة النصرة في الجنوب.

ملحق: الخريطة العسكرية لدرعا

ملحق الخريطة العسكريّة لمحافظة درعا(9)



(9) قمنا بالاستفادة من خريطة يتم تداولها على الأنترنت من قبل جهات مختلفة، كل منها يضع شعاره عليها فوجدنا صعوبة بتحديد منشئها؛ ومن هذه الجهات "شاهد عيان"، و"المكتب الاعلامي- لواء الحسن بن علي". قام كل من معد التقرير، ومحكمه، بتدقيق الخريطة.